

لوقيانوس الأنطاكي

الخوري جان عزّام

مقدمة

من الصعب جداً أن نتكلم على رجل يبدو أنه انتج كتابات مهمة وذات تأثير كبير على عصره، ولكنها لم تصل إلينا إلا جزئياً وغير كتابات المعاصرين وشهادتهم. مع ذلك فهذه الشهادات والكتابات تساعدنا على رسم صورة معقولة عن حياته، وكتاباته، وعقيدته.

حياته

لا نعرف الكثير عن لوقيانوس الأنطاكي من المصادر القديمة سوى ما كتبه عنه المؤرخ الكنسي اوزابيوس، ويذكر انه كاهن من جماعة انطاكيا، ضليع بالعلوم المقدسة، ومثالي في حياته المسيحية والكهنوتية، وانه استشهد مدافعاً عن الإيمان أمام الإمبراطور مكسيموس في مدينة نيقوميديا سنة ٣١٢ ميلادية، بعد أن احتفل

المرجح انه عاش في انطاكيا في القسم الثاني من القرن الثالث للميلاد، وكان كاهناً ومعلماً أو رئيساً لمدرسة مسيحية، وضليعاً في علوم الكتب المقدسة، حتى انه كرس معظم أوقاته لاعادة النظر في الترجمة السبعينية المتداولة في عصره، مستفيداً من معرفته للغة العبرية، ومنكباً على تصحيح ما تراكم من أخطاء، خاصة تلك المدسوسة من بعض النساخ بقصد تشويه الإيمان المسيحي^١.

كتاباته

ينسب اليه القديس ايرونيوس كتاباً بعنوان: *Libelli de fide* ورسائل: *Breves adnomulles epistole*، ولكننا لا نملك سوى رسالة واحدة من رسائله؛ كما نجعل الى أي كتاب يشير ايرونيوس بهذا العنوان *Libelli de fide*. فهناك اعتقاد أن المقصود هو خطاب لقديسنا يدافع فيه عن المسيحية أمام الإمبراطور

بالافخارستيا في السجن ليلة استشهاده مع تلاميذه^٢. أما المصادر الأخرى التي نجد فيها معلومات وافية عن حياته واستشهاده، وعقيدته، فهي مستقاة من كتاب قديم، لا نملك نسخته الأصلية، ولكننا نجد معلومات مستقاة منه في كتب كنسية وسنكسارات خاصة بكنيسة القسطنطينية. أخيراً، لنا بعض المعلومات القيمة عن هذا القديس في كتابات القديسين ايرونيوس^٣ وروفيوس^٤، ويوحنا فم الذهب الذي كتب فيه رثاءً بليغاً. وقد وردت عن قديسنا عدة أخبار غير مؤكدة عن ولادته في مدينة شاموشات، أو عن تتلمذه على يد أحد أعلام مدرسة الرها المدعو قاناريوس، أو عن تتلمذه لبولس الشاموشاتي، وحرمه من قبل ثلاثة أساقفة تعاقبوا على كرسي انطاكيا، ثم مصالحته مع خليفتهم الأسقف تيرانوس، وغيرها من الأخبار المشكوك في صحتها. ولكن

١ - راجع PG, t. XX, col. 773C, 808C

٢ - PL, t. XXIII, col. 685

٣ - PG, t. XLV, col. 476

٤ - PG, t. L, col. 519-520

٥ - Vita Luciani, édit. Bideys, p. 187.

٦ - cf. PL, t. XXIII, col. 685C

الأرجح أساءاً تفسير بعض كتاباته وتعاليمه. ولكن الأکید أن لغة هذا القديس هي لغة بيبليّة بالدرجة الأولى، وهو استعمل تعابير مأخوذة من الكتاب المقدس كما هي، ببساطتها، بينما حاول من جاءوا بعده استغلالها كأساس للهرطقة الآريوسية.

خاتمة

لانطاكيا مفكرون عظام وقديسون كبار، وليس أعظمهم لوقيانوس، ولكن من المؤكد أن هذا القديس كان من أكثرهم حباً لكلمة الله وغيره عليها ورغبة في إيصالها خاصة الى أبناء جيله. ودقة التعابير الفلسفية التي حدّتها لاحقاً مجامع أفسس وخلقيدونية، ولكنه بالتأكيد أثر تأثيراً كبيراً في محيطه وأبناء جيله. ومدرسته التي خرج منها بعض من وردت أسماءهم بين الآريوسيين، هي نفسها خرجت عدداً من مفكري انطاكيا ورجالها القديسين.

مراجع:

LIEBART J., "Lucien d'Antioche", dans *Catholicisme*, t. VII, col. 1245-1246.

BARDY G., "Lucien d'Antioche", dans *Dictionnaire de Théologie Catholique*, t. IX, col. 1024-1031.

Bardy G., "Saint Lucien d'Antioche et son école. Les Collucianistes", *RSR* XXII, 4 (1032) 437-462.

محدود في نص السبعينية، بنسخته الانطاكية التي تميزت بدون شك عن النسخة الاسكندرية القديمة.

عقيدته

مثلما لا نعرف الكثير عن حياته وكتاباتاته، فاننا لا نعرف كثيراً عن عقيدته. والمصادر القديمة يشوبها بعض الأحيان أن أصحابها يكتبون بروح العدائية والتشهير أكثر منهما بصفاء المؤرخ أو اللاهوتي. فالمرجع الأول الذي يستند اليه مؤرخو العقيدة هو اسكندر الاسكندري الذي جعل من لوقيانوس تلميذاً لبولس الشامشاطي الذي كان يدعي بأن الابن ما كان الها بل تبناه الأب وجعله كذلك. ولكن لوقيانوس كان معلماً لآريوس الذي انتج لاهوتا مناقضاً تماماً للاهوت بولس الشامشاطي. ومن المرجح أن لوقيانوس كان يركز على تمييز الأقانيم الثلاثة، مشدداً على دور الأب كآب، والابن كابن، والروح كروح. وبذلك قد يكون متأثراً بعقيدة الخضوع التي تشدد على خضوع الابن للأب دون أن تنتقص من جوهر ألوهيته. وربما كان لوقيانوس من مناهضي استعمال كلمة «مساو في الجوهر» (أومواوسيسوس) خوفاً من الانتقاص من دور الأب الأولي في الثالوث، ولعله في ذلك يقترّب من تعاليم اوريجانوس التي كانت في أساس العقيدة الآريوسية. ولذلك فقد اعتبر البعض أن المدرسة الآريوسية متأثرة بأفكاره أيضاً، ولكن ذلك غير مؤكد طالما أن الكتابات المنسوبة اليه لا تتضمن مثل هذه التأكيدات العقائدية. وإن كان آريوس واستيريوس من تلاميذه فإنهما على

مكسيم قبيل استشهاده، وهذا ما يشير اليه أيضاً اللاهوتي القديم روفينوس. وهناك اعتقاد أن المقصود هو قانون إيمان من وضع لوقيانوس، وجده الأساقفة (الآريوسيون) المجتمعون في انطاكيا سنة ٣٤١ لتدشين كنيسة الذهب، وتبنوه كأساس لإعلان إيمانهم^٧. هذا النص حفظه أيضاً القديس اثناسيوس^٨، وينسبه هو أيضاً الى لوقيانوس، وليس مستبعداً صحة نسبته مع إمكانية تعرضه لتعديلات لاحقة.

في كل حال فإن أهم ما كتبه القديس لوقيانوس هو مراجعته الدقيقة للنص السبعيني القديم، وتصحيحه لما اعتبره أخطاء في اللغة قد تؤثر في مضمون النص. وأهم هذه التصحيحات: تفسير المقاطع الصعبة من خلال ادخال بعض الكلمات، تحديد أسماء العلم المقصودة عندما تكون نسبة الضمير غير مؤكدة الى صاحبه، استعمال تعابير مألوفة بدلاً من تلك الصعبة الفهم، تصحيح الأخطاء اللغوية والانشائية... وكما نلاحظ، فإن هذا الجهد ينصب على اللغة والأسلوب دون المس بمضمون النص العقائدي. وبالفعل، فإن نص لوقيانوس قد استعمل كثيراً في القسطنطينية وفي انطاكيا بحسب شهادة القديس ابرونيموس. ومع أننا لا نملك أي نسخة عن هذا النص، فقد نجد في كتابات الآباء الانطاكيين، يوحنا فم الذهب، وثيودورس المصيصي، وغيرهما، بعض الشواهد المنقولة من نص لوقيانوس. نشير هنا الى أن بعض الدراسات الحديثة تميل الى الشك في أن يكون لوقيانوس قد أصدر نصاً كاملاً للكتب المقدسة، ويعتقد الكثيرون بأن قديسنا كان له تأثير

PG, t. LXXVII, col. 1044B - V

PG, t. LXXVI, col. 721B - A